المحاضرة 01:

النشأة والتطور 01:

المصطلح والمفهوم

يعد الأدب المقارن من الدراسات الأدبية المستحدثة التي يؤرخ لظهورها بالقرن التاسع عشر، وإن كانت المقارنات –كما هو معروف– قديمة للغاية قدم الأدب ؛كتلك التي عرفها الأدب بين اليونانيين والرومانيين ومدى تأثر هؤلاء بأولئك، أو كتلك التي حدثت أثناء النهضة (وما بعدها) بين الآداب الأوروبية الفتية والأدب الإغريقي اللاتيني الذي كان له فضل كبير عليها.

وعلى الرغم من إرهاصات المقارنة، وجذورها الممتدة منذ القدم إلا أنّ النشأة الرسمية والبداية الفعلية لاستخدام مصطلح الأدب المقارن كانت مع الفرنسي آبال فيلمان Villemain Abel سنة 1827 في محاضراته عن التأثير الذي أحدثه كتاب القرن الثامن عشر الفرنسيون في الآداب الأجنبية.

ثم تطور في سنوات لاحقة وأصبح مجالا أدبيا نشطا أثبت وجوده تأليفا وتعليما.

1. المصطلح :

عرف مصطلح الأدب المقارن منذ ظهوره في الساحة الأدبية جدلا كبيرا حول التسمية واستعمال المصطلح لأنه –كما يرى النقاد– مصطلح عام وغامض في الوقت ذاته يثير أسئلة من نوع : من سيقارن؟ وماذا سيقارن؟ وكيف سيقارن؟

لذلك اختلفت التسميات التي أطلقها الباحثون عليه؛ حيث حاولوا استبدال مصطلح الأدب المقارن –بعد أن أقروا بأنه مصطلح ضعيف الدلالة على المقصود منه– بمصطلحات مغايرة من قبيل : الآداب الحديثة المقارنة، التاريخ المقارن للآداب، تاريخ الآداب المقارنة...إلخ لكن تلك المحاولات كانت غير مجدية؛لأن المصطلح أصبح ثابتا ولأن الباحثين تعودوا على تداوله.

ويمكن القول إن عبارة الأدب المقارن بفتح الراء دلالة على صيغة المفعول أو بكسر الراء الدال على صيغة الفاعل هي "عبارة معيبة وضرورية في آن واحد؛ فهي معيبة لكونها غامضة وغير مفصحة عن طبيعة الادب أو الآداب التي ستتم مقارنتها وهي ضرورية لأنها استعملت منذ أكثر من قرن وغلبت لإيجازها وسهولة تداولها".

وفي هذا السياق يرى بول فان تيغم بأن مصطلح الأدب المقارن قد استعمل في "فرنسا كاصطلاح متعارف عليه منذ قرن تقريبا : فمنذ عام 1827 استعمله فيلمان في محاضراته في السربون، ومنذ عام 1830 وضعه عنوانا لمحاضراته في عدّة كتب، وحوالي القرن الأخير أخذ الاسم ينتشر أكثر فأكثر حتى أصبح في أيامنا هذه واضح المعالم، سهل الاستعمال إلى حدّ أن ليس هناك من داع لاستبداله باسم آخر..."

2. المفهوم:

ماهو الأدب المقارن؟ "هو في ايجاز دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الأداب، كيف اتصل هذا بذاك؟ وكيف أثر كل منهما في الآخر ؟ ماذا أخذ هذا الأدب وماذا أعطى، وعلى هذا فالدراسة في الأدب المقارن تصف انتقالا من أدب إلى أدب".

قد يكون هذا الانتقال في الألفاظ اللغوية، أو في الموضوعات، أو في الصور التي يعرض فيها الأديب موضوعاته، أو الأشكال الفنية التي يتخذها وسيلة للتعبير كالقصيدة، أو القصة، أو المسرحية ...إلخ "وقد يكون الانتقال في رأي معين رآه أديب من الأدباء فقلده وجرى عليه أدباء آخرون في آداب أخرى".

والحدود الفاصلة بين أدب وآخر في مجال الدراسات المقارنة هي اللغات فالاختلاف اللغات شرط لقيام الدراسات الأدبية المقارنة.

يمكن القول إنه يصعب إيجاد مفهوم شامل وموحد للأدب المقارن؛ حيث تعددت تعريفاته وتنوعت بتنوع وجهات نظر الدارسين المهتمين بالدراسات المقارنة.

- يعرفه بول فان تيغم Paul van tieghem على أنه **"دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقتها بعضها ببعض وما تدين به الآداب بعضها لبعض"**. وقد ركز في تحديده هذا –للأدب المقارن– على مسألة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة.
- أما فرونسو جويار Guyar فبالإضافة إلى مسألة اللغة المختلفة، وعامل التأثير والتأثر يربط مفهوم الأدب المقارن بالتاريخ ويعرفه بـ **"بتاريخ العلائق الأدبية العالمية"**
- ولا يختلف ما قدمه الباحث المصري غنيمي هلال عما ورد في التعريفين السابقين؛ حيث يظهر اتفاقه مع الأسس التي اعتمدتها المدرسة الفرنسية في تعريفه للأدب المقارن يقول غنيمي الذي

يرى أنه يدرس "**مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها وماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر أيا كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر**"

- يتسع مفهوم الأدب المقارن مع رواد المدرسة الأمريكية الذين جعلوا مجال الدراسات المقارنة أعم وأشمل؛ يظهر ذلك في تعريف هنري ريماك Henry remak للأدب المقارن بأنه "**مقارنة أدب معين مع أدب آخر أوآداب أخرى مقارنة الأدب بمناطق أخرى من التعبير الإنساني**".